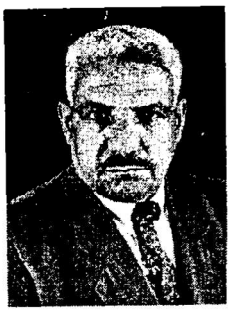

الإسلام والتطرف الديـــــي

الدكتور بلقاسم شتوان

جامعة الأمير عبد القادر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنـــا محمد وعلى آله وصحبه وســـلم.

تمهيد: نتكلم في هذا الموضوع الموسوم بـــ"التطرف الديني" عن تعريف التطرف، ونبـــذة عن تاريخه عنه ثم عن أسبابه، وتحذير الإسلام من عواقبه الوخيمة، ثم عن علاج التطـــــرف وننتهي بخاتمة ومراجع للبحث.

عناصر البحث:

- تعريف التطرف الديني.
- نبذة عن تاريخ التطرف الديني.
- أسباب التطرف الديني وتحذير الإسلام منه.
- علاج التطرف الديني.
- خاتمـــة.
- مراجع البحث.

أولا: تعريف التطرف: أن كلمة "التطرف" في اللغة العربية مصدر الفعل "تطـــــرف" وتطرف الشيء صار طرفا[1].

1- أنظر كلا من: تاج العروس مادة طرف. وكتاب المفردات للراغب الأصفهاني (مادة طرف)

وقال صاحب لسان العرب "طرف" الطرف: طرف العين. والطرف أطباق الجفن على الجفن.

والطِّرف: بكسر الطّاء: الكريم العتيق من الخيل، والكريم كذلك من الفتيان والرجال.

والطرف من الرجال: الرغيب العين الذي لا يرى شيئا إلا احب أن يكون له. وطرف: بالضم، والطّرفي في النسب مأخوذ من الطرف وهو البعد .وطرف الشيء منتهاه. وتطرف الشيء صار طرفا"[1].

وقال الراغب: طرف الشيء: جانبه. وتستعمل في الأجسام والأوقات وغيرها"[2] وعادة يكون الطرف بعيدا عن الجماعة بخلاف الوسط.

قال الشاعر العربي:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا[3]

وعرف التطرف في اللغة العربية أيضا بأنه مجاوزة الحد، وبالتعصب، وبالخروج عن القصد في كل شيء، وهو نقيض التقصير، وأصله في المحسوسات، والوقوف على الطرف بعيدا عن الوسط، كالطرف في الوقوف والجلوس، أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو في الفكر، أو السلوك"[4] يقول الباحث أحمد بن نعمان: "إن التعصب بعبارة واحدة هو التطرف يأتي في الطرف المقابل له: الاعتدال، والاتزان".

1-.الإمام ابن منظور الإفريقي لسان العرب ج9 ص 213 وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي ج 1 ص 243 ط مصطفى البابي الحلبي مصر 1948.

2- انظر كتاب المفردات للراغب الأصفهاني (مادة طرف).

د/ رشيد محمد عليان أستاذ الأديان في كلية الشريعة بغداد التطرف الديني ص 52 ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد.

3- هذا البيت للطائي –أنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري ج1 ص243 ط مصطفى البابي الحلبي مصر 1948.

4-د/ رشيد محمد عليان أستاذ الأديان في كلية الشريعة بغداد التطرف الديني ص 52 ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد.

ويقول: "التعصب بهذا المعنى هو التخلف .والتخلف قصور في العقل وهو دليل الجهل، أو نقص المعرفة"[1].

ويقول: "التعصب والتطرف كلمة مطلقة تأتي مقابل الاعتدال، والاتزان، ونعني المبالغة في التشدّد الزائد عن اللزوم مع رفض التراجع والاعتراف بالخطأ"[2].

وخلاصة القول: "إن كلمة التطرف، والتعصب، والتنطع، والغلو، والتشدّد هي كلمات ذات مدلول واحد".

ثانيا: نبذة تاريخية عن التطرف الديني في الإسلام:

إن ظاهرة التطرف الديني المعاصرة، والتي يعاني منها العالم الإسلامي والعربي اليوم لها جذور تاريخية ومظاهر متعددة، وقد تميزت في بدايتها بالتزمت الفكري، والتشدد الديني، ثم اتخذ أنصارها مواقف دينية وسياسية، واجتماعية، وقد أسفرت هذه المواقف عن عدائها للمجتمع ومؤسساته، تمثلت في اعتزاله ومقاطعته، ومن ثم أصدرت الحكم بانحرافه وكفره. وفي الأخير بإعلان الحرب عليه والعمل على هدمه، وتخريب مؤسساته، وإسقاط حكوماته.

ويمكن القول باختصار بأن المذاهب الدينية السياسية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي الأول، والتي شكلت قوى مضادة للخلافة المركزية، تجسدت في المذاهب السياسية [الخوارج، والشيعة][3] على الرغم من الاختلاف الجوهري الأصيل بين المذهبي.

1- د/ احمد بن نعمان – التعصب مع أو ضد الإسلام والإنسان واللسان لماذا وكيف؟ ص 12 ط منشورات دحلب 1990م.

2- د/ احمد بن نعمان نفس المرجع ص 14.

3-. الخوارج: سمو بذلك لخروجهم عن كل إمام، واعتقادهم أن ذلك فريضة عليهم، لا يسعهم المقام في طاعته حتى يخرجوا ويتخذوا لأنفسهم دار هجرة وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين حربا لهم، والمسلمون عندهم كفار مشركون إلا من رافقهم وبايعهم، واستجار بهم حتى يسمع كلام الله. ويقولون بالبراءة من عثمان وعلي وتكفيرهما، وتكفير كل إمام بعد أبي بكر وعمر والبراءة منهم، وإجماعهم على أمام يختارونه من أوفياء الناس ممن كان قائما بالكتاب والسنة، ويقولون أيضا بالخروج على كل إمام جائر، وتكفير مرتكب الكبيرة. ومن فرقهم – الصفرية نسبة إلى ابن صفار رئيس لهم، وقيل سموا بذلك لكثرة عبادتهم اصفرت وجوههم. والبيهسية نسبة إلى أبي بيهس، والأزارقة=

في القواعد العامة، والأصول المشتركة لكل واحدة منهما .وقد استمر هذان المذهبان على مدى العصور الإسلامية الأولى، وحتى عصرنا الحاضر يشكلان المنابع، والمصادر التي يستقي منها المعارضون للسلطة القائمة. مهما كان نوع هذه السلطة لأنها لا تتفق مع مناهجهم.

وأما الوسائل المختارة لتحقيق غاياتهم وأهدافهم القصوى والنهائية من معارضيهم هي:

ـ الحركات والأحزاب الدينية والسياسية ذات الأصول السلفية مثل "الهجرة والتكفير"، "والجهاد الإسلامي" فإنها تلتقي جميعا في برامجها الفكرية, وأساليب العمل مع الخوارج . في حين تصدر الأحزاب الدينية السياسية ذات التفرعات الشيعية مثل [حركة المجاهدين، ومنظمة العمل الإسلامي، وأمل] عن التشيع التاريخي. والسؤال الذي نطرحه ما هي الصفات العامة التي تتصف بها الحركات والأحزاب الدينية والسياسية ذات البعد السلفي، باعتبارها نماذج تحاكي في اتجاهاتها العامة التقاليد الخارجية؟

ـ التشدّد الدّيني، ويتجلى ذلك في الالتزام الحرفي بالنصوص الدينية، والوقوف عند ظواهرها المتبادرة إلى الذهن، وذلك ضمن منهج انتقائي في فهم هذه النصوص دون الالتفات للمقاصد العامة للإسلام في عقيدته وشريعته، دون ملاحظة لوظيفة الواجبات الدينية في تحقيق أهداف عملية فردية واجتماعية، بل دون الالتفات لأسباب النزول أو المعرفة

=نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفي وكان رئيس الخوارج. والنجدات، ويقال لهم القعدة، وذلك نسبة إلي نجد بن عامر الحنفي الذي كان من رؤسائهم. انظر في هذا الموضوع – عبد الكريم الشهرستاني – الملل والنحل ج1– وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي. وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعر – وانظر عبد الله سلوم السمرائي – الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص 282 وما بعدها دار واسط للنشر. انظر ص 82.

– **الشيعة**: الشيعة من اكبر الفرق الإسلامية وأقدمها. والفرقة التي تعبّر عن الشيعة تعبيرا رسميا ودقيقا هي فرقة الأمامية الاثني عشرية. أما بقية الفرق تفرعت عن الشيعة، فابتعد بعضها كثيرا عن حدود هذه الفرقة ومبادئها.و الشيعة: هم الذين شايعوا الإمام علي رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية واعتقدوا إن الإمامة لا تخرج من أولاده، وقالوا الإمامة ركن من أركان الدين.د/ عبد الله سلوم السامرائي الغلو. الفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص 82 وانظر د/ رشدي محمد عليان التطرف الديني – محاضرات الندوة الفكرية الثالثة التي أقامتها كلية الشريعة بجامعة بغداد في 1986/03/31م ص 59 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الجمهورية العراقية.

بأصول الاستدلال اللغوي الفقهي، ودون تمييز بين القاعدة العامة، والاستثناء المرتبط بسببه، فهم دائما مع ظاهر النص، والاجتهادات الفردية الشاذة، مما ينتهي في العادة والغالب من الأحيان إلى:

أ- ضحالة في الفكر وقصور في الفهم، ونزعة ثائرة جامدة تطرد معنى التجديد والتطور من دائرتها وتسوق أصحابها إلى غربة فكرية كاملة في المجتمع.

ب- العنف الثوري المستمد من دعوة الخوارج والاستشهاد الجماعي، من أجل تحقيق الأهداف، وتبرير ذلك كله بتأويلات تعسفية للنصوص الشرعية.

ج- تكفير المجتمع وإسقاط عصمة الآخرين واستباحة دمائهم وأموالهم، وقتل مخالفيهم غيلة وغدرا والتميز بالعنف في التعامل والخشونة في الأسلوب، والغلظة في المعاملة مع الآخرين، وسوء الظن بهم، والتميز بخصائص عامة في تنظيماتهم والتي تعود في بعدها الزمني إلى التشيع، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

التنظيم السري المتقن والذي يتم وفق سلم هرمي متدرج وذلك لاستفادتهم من أخطاء التنظيم الشيعي في تجربته أثناء مواجهة الأمويين والعباسيين، وما أصابهم من عنف واضطهاد وتنكيل.

الميل إلى تأسيس الجمعيات السرية التي تخضع في قيادتها الروحية والزمنية إلى رجل بعينه يدعي العصمة أو العلم واليقين.

إضافة الحركات الدينية والسياسية المنتسبة إلى التشيع أمور جديدة تتمثل في الثورية والانقلابية ويتجسد هذا العنصر في نظرية "ولاية الفقيه العامة" التي تكلم عنها الإمام خميني

في كتابه كشف الأسرار 1944م ثم أجملها ولخصها في صورة دعوة إلى الحركة وبرنامج للانقلاب في كتابه "الحكومة الإسلامية"[1].

ثالثا: أسباب التطرف الديني:

إن التطرف الديني ظاهرة لها بعدها التاريخي بتاريخ المجتمع الإسلامي، وهي قضية معقدة ومركبة قديما وحديثا، وبواعثه أيضا كثيرة ومتنوعة ومتداخلة وبعضها قريب وبعضها بعيد، بعضها مباشر، وبعضها غير مباشر، وبعضها واضح ماثل للعين، وبعضها غائر في الأعماق، ومن هذه الأسباب ما هو ديني، وما هو سياسي، ومنها ما هو اجتماعي، وما هو اقتصادي، ومنها ما هو نفسي، وما هو فكري، ومنها ما هو خليط من هذا كله[2].

1- قد يكون سبب التطرف الديني ظاهرة داخل الشخص نفسه ويكون أصلها غرور الشخص بنفسه، وازدرائه للغير، وقد كانت هذه أول معصية في العالم معصية إبليس لله عز وجلّ، وأساسها الغرور والكبر، حين قال لعنه الله " أنا خير منه"[3].

2- وقد يكون سبب ظاهرة التطرف داخل أسرة الشخص عند الأب أو الأم أو اخوة الشخص، وعلاقتهم بعضهم ببعض، لان الله خلق الناس مختلفين في الخلقة وكذلك في القدرات العقلية وغيرهما، فمن البديهي إن يكونوا مختلفين في التفكير ووجهات النظر – قال تعالى **(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأ ن جهنم من الجنة والناس أجمعين)**[4].

1- عبد سلوم السمرائي، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص82، أنظر د. رشيد محمد عليك، التطرف الديني، محاضرات الندوة الفكرية الثالثة التي أقامتها كلية الشريعة، ببغداد في 1986/3/31. ص59، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الجمهورية العراقية .

2-أنظر الأستاذ الدكتور أحمد بن نعمان – التعصب مع أو ضد الإسلام والإنسان واللسان لماذا وكيف ؟!! ص 14 – ط منشورات دحلب

3- سورة ص آية 77.

4- سورة هود 119.

3 - وقد يكون سبب ظاهرة التطرف عند التحليل والتعمق في المجتمع ذاته، وما يحمل في عمقه من تناقضات صارخة بين العقيدة والسلوك، وبين الواجب والواقع وبين الدين والسياسية، وبين القول والعمل، وبين الآمال، والمنجزات، وبين ما شرعه الله وما وضع البشر"[1]. ومن هذه المتناقضات إن احتملها الشيوخ لا يحتملها الشباب، وان احتملها بعضهم لا يحتملها كلهم، وإن احتملوها بعض الوقت لن يحتملوها كل الوقت".

4 - قد يكون سبب التطرف السطحية في فهم الإسلام والتباس كثير من مفاهيمه واضطرابها في أذهان الشباب، أو فهمها على غير وجهها، في قضايا أساسية [كالإيمان _ والإسلام _ والكفر _ والشرك _ والجهاد _ والاستشهاد _ والحجاب _و غيره].

وكذلك قلة المعلومات الفقهية العلمية وعدم التعمق في معرفة أسرار العلوم الدينية والوصول إلى فهم مقاصدها واستشفاف روح أحكامها، ولا نقصد هنا بهذا السبب الجهل المطلق بالدين، فهذا في العادة لا يفضي إلى التطرف بل إلى التقيض وهو الانحلال والتسيب والخرافة والشعوذة.إنما نعني بأنصاف العلماء الذين يظنون أنهم دخلوا زمرة العلماء، وهم يجهلون الكثير، بل يعرفون نتفا من العلوم من هنا وهناك غير متماسكة ومترابطة، وهم لا يربطون الجزئيات بالكليات ولا يردون المتشابهات إلى المحكمات، ولا يحاكمون الظنيات إلى القطعيات. ولا يعرفون من فنون التعارض والترجيع ما يستطيعون به أن يجمعوا بين المختلفات، أو يرجحون بين الأدلة والاعتبارات. وقد نبه الإمام أبو إسحاق الشاطبي في كتابة الاعتصام[2] إلى أن أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدي إلى تفريق الأمة شيعا وجعل بأسها بينها شديدا أن يعتقد الإنسان في نفسه، أو يعتقد فيه . أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين وهو لم يبلغ تلك الدرجة، فيعمل على ذلك "و يعد رأيه

1- أنظر د/ يوسف القرضاوي كتاب الأمة – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 61 وأنظر د/رشدي محمد عليان التطرف الديني ص 59 مرجع سابق.
2- الإمام أبي إسحاق الشاطبي - الاعتصام ج2 ص 173.

رأيا .وخلافه خلافا" — وهذا هو المبتدع الـــذي نبه عليه الحديث الصحيح .قال عليه الصلاة والسلام (لا يقبض الله العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذ لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).[1]

5- قد يعود سبب التطرف إلى فساد الحكـــام والحكـــم وأعوانهـــم [بطانـــة الســـوء] وطغيانهـــم واستبدادهم وجريهم وراء ملذاتهم وشهواتهم، وتفريطهم في شعوبهم من عدل اجتماعي ومـــساواة في توزيع الثروة .

6- وقد يعود سبب التطرف إلى خضوع حكام العرب والمســـلمين إلى إرادة الأجنـــبي ومساندة أصحاب الأفكار الغريبة عن المجتمعات العربية والإسلامية —كالإلحاد، والتفســـخ وهدم الأسرة— والإباحية كما تشير بعض الدلائل إلى أن إحياء التطرف الديـــــني مرهـــون بمخططات أجنبية تستهدف الإسلام ولغته وأهله، التي ضحّت شعوبه من اجل ترسيخ هـــذه الثوابت، ودفعـــت من اجلها خـــيرة أبنائها وما هو غـــــال ونفيس.فقد اصبح الإســـلام غريبا بين أهله وقومه وفي دياره. في حين أن الأفكار والآراء الوافدة تلقى الترحيب .والحريـــة الكاملة، بل تجد من يمكن لها بحد السيف ويفرضها على العقول، حتى اصبح بعض النـــــاس يرون أن الجهاد من اجل تحرير فلسطين وتطهير المسجد الأقصى إرهابا، وأن تطهير مجتمعهم من الخائنين المنشقين انتهاكا لحقوق الإنسان.

7- وقدْ يكون سبب التطرف ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو أمنية كبعض المضايقات من طرف بعض السلطات الأمنية والإدارية [كالحقرة] وذلك بسبب عدم المساواة أمام العدالـــة والقانون.

وخلاصة القول في هذا الموضوع: أن معرفة أسباب التطرف وبواعثه تتطلـــب تظـــافر جهود العديد من الباحثين المختصين في علم الأديان =علم الاجتمـــاع =وعلـــم النفـــس=

1 - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وغيرها لأنها متشابكة ومتداخلة وكلها تعمل بأقدار متفاوتة مؤثرة آثارا مختلفة قد يقوى أثرها في شخص، ويضعف في آخر، وقد يقوى كذلك في جماعة ويضعف في أخرى فلأجل ذلك لا ينبغي لنا أن نقف عند سبب واحد من أسباب التطرف الذي يظهر أمامنا ويطغى على غيره من الأسباب.

رابعا: التطرف الديني وتحذير الإسلام منه:

الإسلام منهج وسط في كل شيء: في الاعتقاد، والتعبد، الأخلاق، والسلوك والمعاملة، والتشريع وهذه الوسطية تعد إحدى الخصائص العامة للإسلام وإحدى المعالم الأساسية التي ميز بها الأمة الإسلامية عن غيرها. قال تعالى (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**)[1] فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالا على خط الوسط. والنصوص من القرآن والسنة النبوية الشريفة تبين بوضوح إن الإسلام ينفر اشد النفور من هذا التطرف والغلو والتنطع، ويحذر منه اشد التحذير.و هذا المنهج الذي جاء به الإسلام هو الذي سماه (**السراط المستقيم**) وهو منهج متميز عن طرق أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى من (**المغضوب عليهم**) ومن (**الضالين**) الذين لا تخلو مناهجهم من تطرف وغلو وتفريط وإفراط، وحسبنا أن نستقرئ هذه النصوص من الكتاب:

1)- قال تعالى(**قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم**)[2]. والآية الكريمة تنهانا عن الغلو في ديننا كما غلو، أي اليهود والنصارى، والسعيد من اتعظ بغيره.

2)- وقال تعالى (**لا تغلوا في دينكم**). قال القرطبي: - ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى عليه السلام حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى

1- سورة البقرة آية 143.
2- سورة المائدة آية 77.

جعلوه ربا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر[1].

قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

و قال الإمام رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (**يا أهل الكتاب لا تغلـوا في دينكـم ولا تقولوا على الله إلا الحـق**)[2].

أي لا تفرطوا كما فرطت اليهود والنصارى في عيسى عليه السـلام فغلـو اليـهود في عيسى: قولهم ليس ولد رشدة (أي ولد نكاح) وغلو النصارى قولهم انه الـه.

ومن السنة الشريـفة:

١- روى الإمام احمد في مسنده والنسائي وابن ماجة في سننهما، والحاكم في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والغلو في الدين فإنمـا هلك من قبلكم بالغلو في الدين"[3] فالحديث الشريف تضمن التحذير الشديد من الغلـو في الدين، وبين أن أهل الأديان السابقة وخاصة أهل الكتاب، وعلى الأخص النصارى الذيـن خاطبهم القرآن (**يا أهل الكتاب لا تغلو فـي دينكم ولا تقولوا علـى الله إلاّ الحـق**). وسبب ورود الحديث ينبه إلى أمر مهم وهو إن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرتـه ويتطاير شرره، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى المزدلفة في حجة الـوداع قال لابن عباس: (هلم القط لي – أي حصيات ليرمي بها في منى – قال فلقطت له حصيات من حصى الحذف – يعني حصـى صـغارا مـما يحذف به – فلما وضعهن في يده .قال: نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين ...) والحديث أيضا يتضمن معنى وهو لا ينبغـي أن يتنطع الحـاج فيقول: الرمي بكبار الحصى ابلغ من الصغار، فيدخل عليهم الغلو شـيئا

1- انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 288 طبعة دار القلم وانظر الإمام القرطبي الجـامع لأحكـام القران ص 252.

2- المائدة 77..

3 -نقل المناوي في الفيض ج3 ص 126 عن ابن تيمية قوله هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

فشيئا فلا جل هذا حذرهم. قال لإمام ابن تيمية رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد، والأعمال.و الغلو مجاوزة الحد. والنصارى اكثر غلوا وتطرفا في الاعتقاد من سائر الطوائف وقد نهاهم الله تعالى عن الغلو في القرآن بقوله (**لا تغلوا في دينكم**).

2 – روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هلك المنتطعون) قالها ثلاثا[1]. قال الإمام النووي:"المتنطعون" أي المتعمقون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.ويلاحظ أن هذا الحديث والحديث الذي ذكرناه من قبل جعلا عاقبة "الغلو والتنطع" هي الهلاك، ويشمل هلاك الدين والدنيا معا، وأية خسارة اكبر واشد من الهلاك.

3)– روى أبو يعلي في مسنده عن انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد عليكم، فان قوما شدّدوا على أنفسهم فشدّد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات) .قال تعالى (**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**)[2]. وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: (من أجل ذلك قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه يترع إلى التطرف والغلو في الدين، وأنكر عن من بالغ من أصحابه رضي الله عنهم في التعبد والتقشف مبالغة تخرجهم عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام ووازن به وبين الروحية والمادية، ووفق بفضله بين الدين والدنيا وبين حظ النفس من الحياة، وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان، فقد شرع الإسلام من العبادات ما يزكي نفس الفرد ويرقى به روحا ومادة، وما ينهض بالجماعة كلها، ويقيمها على أساس من الاخوة والتكافل دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض.فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت فهي لا تعزل المسلم عن الحيلة ولا

1– الحديث رواه مسلم في صحيحه، ونسبه السيوطي إلى احمد وأبي داود أيضا.
2– سورة الحديد آية 27.

عن المجتمع، بل تزيد ارتباطه شعوريا وعمليا، ومن هنا لم يشرع الإسلام (الرهبانية) التي تفرض على الإنسان العزلة عن الحياة وطيباتها والعمل لتنميته وترقيته، بل يعتبر الأرض كلها محرابا كبيرا للمؤمنين، ويعتبر العمل فيها عبادة وجهادا إذا صحت فيه النية والتزمت حدود الله.ولا يقر ما دعت إليه الديانات والفلسفات الأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية، ومن حرمان البدن وتعذيبه حتى تصفو الروح وترقى، ومن إهدار شأن الدنيا من أجل الآخرة فقط جاء بالتوازن في هذا كله.

ولقد أنكر القرآن الكريم أشد النكير على أصحاب هذه النزعة في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده قال تعالى **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين.قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)**[1] . وقال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لله لكم ولا تعدو إن الله لا يحب المعتدين.وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون)**[2].
فالآيتان الكريمتان تبين حقيقة المنهج الإسلامي في التمتع بالطيبات، ومقاومة الغلو والتطرف الذي اتصف به اتباع اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان والملل والنحل.فقد روي في سبب النزول أن رهطا من الصحابة قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كالرهبان.وروي أن رجالا أرادوا أن يتبتلوا أو يخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح – [لباس الرهبان] فنزلت.

وروي في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن ناسا من أصحاب رسول لله صلى الله عليه وسلم.سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فكأنهم تقالوها أي (عدوها قليلة) قال بعضهم لا آكل اللحم ...وقال بعضهم لا أتزوج النساء ... وقال بعضهم لا أنام على فراش ... فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم،

1- الأعراف آية 31.
2- سورة المائدة 87 – 88.

فقال: "ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا .! لكني أصوم وأفطر، وأنام، و أقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، وسنته صلى الله عليه وسلم تعني منهجه في فهم الدين وتطبيقه، وكيف يعامل ربه عز وجل...

ويعامل نفسه وأهله، والناس من حوله معطيا لكل ذي حق حقه في توازن واعتدال.

والإسلام يحذر من التطرف الديني ويأخذ بمنهج التحفيف والتيسر ونفي الحرج والتعسير قال تعالى (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**)[1]. ويقول سبحانه وتعالى (**وما جعل عليكم في الدين من حرج**)[2] ويقول سبحانه وتعالى (**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**)[3] و يقول سبحانه وتعالى{**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**}[4] فان جميع هذه النصوص القرآنية تدعو للتخفيف والتزام التيسير ونفي الحرج والتعسير، والنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا المنهج بأحاديثه الكثير.

1)- "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا"[5] ومعنى الحديث: لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، أي لا يتعمق أحد في العبادة ويترك الرفق كالرهبان في الصوامع إلا عجز فغلب، وليس المراد ترك طلب الأكمل في العبادة فانه محمود، بل منع الإفراط المؤدي للملل ومعنى (**فسددوا**): أي ألزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط، وبلا تفريط. ومعنى (**قاربوا**): أي لا تبلغوا النهاية بل تقرّبوا منها .ومعنى (**ابشروا**) : (أي ابشروا بالثواب على العمل الدائم ولو قل[6] وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلت) أو كما قال.

1- سورة البقرة آية 185.
2- سورة الحج آية 78.
3- سورة المائدة آية 6.
4- سورة النساء آية 28.
5- حديث صحيح رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة وقال السيوطي صحيح
6-أنظر فيض القدير ج 2 ص 329.

2)- قال عليه الصلاة والسلام (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[1].

3)- شكا أحد الصحابة معاذ بن جبل للنبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالناس حين اصل بالناس وأطال فغضب صلى الله عليه وسلم وقال: (يا.معاذ آفتان أنت) ثلاث مرات[2].

4)- قال صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم بالناس.فليخفف فان منهم الضعيف والسقيم، والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)[3].

5)- وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (آني لا ادخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)[4] كما أن لأجل التخفيف والتسير عن الأمة شرعت الرخص.قال صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يحب أن تؤتي رخصة كما يكره أن تؤتي معصيته)[5]. وقال رسول اله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين بلغه انهماكه في العبادة انهماكا أنساه حق أهله عليه: (ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال عبد الله: قلت بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم (لا تفعل! صم، وافطر، وقم، ونم فان لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك حقا وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا)[6]. ونفس الحقوق علمها الصحابي الفقيه سلمان الفارسي لأخيه العابد الزاهد أبي الدرداء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهما، فزادت بينهما الألفة وسقطت الكلفة .فزار سلمان أبا الدرداء فوجد أم الدرداء — زوجته مبتذلة (يعني تلبس ثياب البذلة والمهنة، لا ثياب الزينة والتجمل

1-.حديث متفق عليه، ورواه أحمد والنسائي عن أنس بن مالك، وقال السيوطي صحيح.
2- من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة
3-حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
4- حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
5- حديث رواه البخاري في صحيحه — انظر فتح الباري ج 2 ص 197 وما بعدها كتاب الآذان.
6- الحديث رواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان. أنظر فيض القدير ج 2 ص 296.

كما تفعل المرأة المتزوجة. فقال لها: ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا! فجاء أبو الدرداء فرحب بسلمان وقرب إليه طعاما فقال: كل فإني صائم! فقال سلمان ما أنا بآكل حتى تأكل.وفي رواية أقسمت عليك لتفطرن قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم الليل فقال سلمان: نم فنام، ثم ذهب ليقوم فقال سلمان له نم، فلما كان آخر الليل قال: سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان، إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط لكل ذي حق حقه، فأتى أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان)[1] وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) وفي رواية ضعفها السيوطي (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقر)[2] ومعنى الحديث قال المناوي: (متين) أي صلب (فأوغلوا) أي سيروا برفق من غير تكلف، ولا تحملوا على أنفسكم مالا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا العمل.

وقال الغزالي: معنى الحديث أن لا يكلف المسلم نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة. بل يتدرج ويتلطف ولا ينتقل دفعة واحدة إلى التطرف الأقصى من التبدل .فالطبع الإنساني نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئا فشيئا حتى تتخلّص من تلك الصفات المذمومة التي رسخت بها، ومن لم يراع التدرج، وتوغل دفعة واحدة، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا.

خامسا: علاج التطرف الديني:

ظاهرة التطرف الديني ظاهرة عالمية وجدت في عصرنا في أماكن عدة من العالم – كالبوسنة والهرسك– وكوسوفة– والهند وباكستان، وتعتبر دولة إسرائيل نموذجا حيا في

1- حديث صحيح رواه الإمام البخاري، والحكيم الترمذي.
2- رواه أحمد في مسنده، وقال الإمام السيوطي صحيح.

عصرنا الحاضر لتمثيل الإرهاب وتصديره، ونحن لا نقصر الإرهاب على دولة كالجزائر فقط أو في قارة كالقارة الإفريقية وإنما نقول بعموم هذه الظاهرة في العالم كله حتى أن الدول الأولى في العالم تمارس الإرهاب وترعاه كروسيا مع الشيشانيين وإنجلترا وفرنسا وأمريكا مع العراق وغيره من الدول الأخرى .فللأجل هذا فانه ليس من السهل كتابة وصفة علاجية لهذه الظهرة الخطيرة والمعقدة الماثلة للعيان حاضرا، والممتدة الجذور في عمق التاريخ الإنساني بأسبابها وبواعثها المتعددة المختلفة، وإزاء ذلك فإننا نوصي بمراعاة الاعتبارات العامة الآتية واتباع الوسائل والإجراءات الآتية:

أولا: يجب على العلماء المخلصين لدينهم ووطنهم لقيام بإظهار التطرف الديني وتحديد المراد به بعلم وبصيرة، وهذا المجهود يعتبر الخطوة الأولى في طريق علاج التطرف ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حي عن بينه، ولا قيمة لأي بيان أو حكم لظاهرة التطرف الديني ما لم يكن مستندة المفاهيم الشرعية الإسلامية الأصلية وذلك بالرجوع إلى النصوص التي تحدد القواعد الشرعية الثابتة، لا إلى الآراء المجردة والأهواء المغرضة، ولا حجة لقول أحد مهما كان مركزه الاجتماعي أو السياسي أو العسكري في مقابل قول الله ورسوله قال تعالى **(فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)**[1]، وقد اتفقت الأمة الإسلامية سلفها وخلفها على أن الرد إلى الله ورسوله يعني الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يعني الرد إلى سنته عليه الصلاة والسلام ودون الرجوع إلى هذه القاعدة الشرعية لن و لم يهتم الشباب المتطرف أو المهتم بالتطرف التفاتا إلى فتوى هذا أو مقال من ذلك، ويعزفون عن الاتهام الذي ينكرونه، ويتهمون غيرهم بالتزييف للحقائق، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها، وذلك لأن واقع الناس تختلف فيه أهواءهم ومشاربهم وغاياتهم ولا بد لهم من سبيل يجمعهم وخير ما يجمع أبناء الأمة كتاب الله

1 النساء آية (59).

وسنة ورسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن**)[1].

ثانيا: يجب أن تتكاتف المؤسسات التعليمية والتربوية بجميع مستوياتها وأنواعها سواء كانت مدنية أم عسكرية بتشخيص مواضع الانحراف والخلل في أفكار حركات التطرف الديني وذلك بتبني منظومات تربوية تعليمية تركز في مناهجها بيان المفاهيم الصحيحة مقتبسة ذلك من منهج الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة مع التركيز على الأحكام والمبادئ التي تم تأويلها وتحريفها عن مواضعها كقول الله سبحانه وتعالى (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**)[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما (ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر) .ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له .وهو قول عكرمة .وهو تأويل مرجوح، فان نفس جحوده كفر سواء حكم أم لم يحكم)[3].

قال ابن القيم رحمه الله (والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله بتناول الكفرين الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم، فانه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيان مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وإن اعتقد انه غير واجب، وانه مخير فيه، مع تيقنه انه حكم الله فهذا كفر اكبر. وإن جهله وأخطاءه، فهذا مخطئ له حكم المخطئين)[4].

1- المؤمنون، آية 71.
2- سورة المائدة آية 44.
3- د/ يوسف القرضاوي كتاب الأمة – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 81.
4- دكتور يوسف القرضاوي كتاب الأمة – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 82.و من الأمثلة على الكفر الأصغر: (لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض) (من آتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) (اثنتان في أمتي هما بهم كفر – الطعن في النسب، والنياحة. وكذلك قد تطلق كلمة كفر على المعاصي التي لا تحتمل إنكارا ولا جحودا ولا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: تسليط الضوء على أحكام الجهاد في دين الله وتراثه الفقهي الواقعي وذلك لاستجلاء حقيقته الموضوعية الثابتة وظروفه المتغيرة حتى لا يندفع في عدوان من جهل أو خطأ في التأويل مع بيان مفهوم "الاستشهاد" وهدف الإسلام منه، ومن القتال حتى لا يقتل المسلم نفسه أو غيره في عمليات انتحارية عن جهل وسوء فهم، و يترك العدو الحقيقي للدين والأمة والوطن.

وبتثبيت هذا المنهج تتفادى الأمة إزهاق أرواح أبنائها، واستتراف طاقاتها الحية، وتحول هذه القوة إلى نحر عدوها الحقيقي كتخليص بيت المقدس من يد العدو الصهيوني، ولو تأملنا قليلا وجمعنا الشباب الذي احترق بنار الفتنة في الجزائر ومصر وسوريا في حماه وغيره من شباب المسلمين ووجه إلى عدو الأمة لكانت النتيجة غير التي أصابت الأمة الإسلامية بتخريب الديار وهتك الأعراض وقتل الأبرياء وسفك الدماء وتدمير الذات ولكن كما قال الشاعر:

ناديت لو أسمعت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

رابعا: نشر مفهوم الدولة وثقافتها وفلسفة الحكم في الإسلام وعلاقة الحاكم بالمحكوم وموقع ذلك من الإيمان والإسلام.

خامسا: نشر العلوم الإسلامية في نطاق أوسع وفي جميع الميادين مع قيام المؤسسات الاجتماعية والخيرية والنفسية بدراسة دوافع الرفض الاجتماعي وغاياته، وانتشار موجات التمرد والرفض بين الشباب خاصة مع تقديم دراسات علمية أكاديمية تتضمن مقترحات تساعد على اختفاء الاستفزاز [والحقرة] الاجتماعي أو تساعد وتفيد على الأقل في التقليل من حدته تمهيدا لعلاج مشكلة التطرف الديني وغير الديني [العنصري وغيره].

سادسا: قيام الأحزاب السياسية والمجالس الشعبية بالعمل على تعميق الممارسات الديمقراطية وتعميق مبدأ الشورى والتصالح وإتاحة الفرص للشباب على حد سواء والابتعاد

عن الديماغوجية والنفاق السياسي والإداري وكل ما هو سلبي يمكن أن يستغل من قبل من لهم قابلية للتطرف الديني وغيره سواء كان عنصري أم سياسي.

سابعا: قيام المؤسسات الإعلامية والثقافية بالاهتمام بالإعلام الديني واستثماره مع التركيز على توجيه النزعة الدينية الفطرية السليمة والعناية بالمناسبات الدينية التي تعمل فيها على ترسيخ القيم الإنسانية العليا التي يدعو إليها الإسلام..

ثامنا: قيام دولة ممثلة في جميع مؤسساتها بالعمل المتواصل والمخطط على غرس روح التآخي والتصالح الاجتماعي بين فئات أبناء الوطن ابتداء من الأسرة والمدرسة والجامعة والمصنع وفي مؤسسات الدولة سواء كانت مدنية أم عسكرية، مع إظهار الوجه القبيح للتطرف مستغلة في ذلك البحوث العلمية الأكاديمية في الجامعات والمراكز الثقافية والثكنات العسكرية، والندوات العلمية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وغيرها.

سادسا: خاتمة البحث: في ختام هذا البحث التطرف الديني يبدو لنا أن أسباب العلاج المقترحة لعلاج ظاهرة التطرف الديني ليس إلا مؤشرات ومفاتيح، وأن الأمر يتطلب تخطيطا سليما من ذوي الاختصاص من العلماء والخبراء ويناقشون الأمر من وجهات متعددة بالاستعانة بالصبر الجميل، والمتابعة.

الحثيثة المستمرة الهادئة والهادفة إلى أن تتوج الأعمال وتكلل بالنجاح. وأحب أن أكتب ما قاله الأستاذ (ألفنصو دولا سيرتا) في الأصولية الإسلامية قال الأستاذ: (إن الغرب يتخبط في النزر القليل الذي يعرفه عن الإسلام، إننا نجهل روح الإسلام، وما يدعو إليه الإسلام من إيمان مطلق، واستسلام للخالق....).

ويقول: (وأرى كذلك أن هذه الأصولية لا تخلوا من تداعيات سياسية وعلى أي فان المسلم الذي يؤمن بدين ينظم حياته العقدية والدنيوية المادية في أن واحد، بدون الفصام كما هو الشأن عندنا، فان أي مساس بأحدهما أو أي خلل في التوازن بينهما قد يكون سببا

للنهوض إلى إعادة التوازن المنشود إن تركيا التي كانت تقوم بوظيفة الخلافة، تم صيرها مصطفى أتاتورك علمانية دفعة واحدة، هي الآن مسرح لتيارات دينية إسلامية يجب أن تعتبر ردة فعل إن للاستعمار ضلعا فيما يحدث في بعض البلدان الإسلامية لأنه غير بقصد أو بغيره النظام الاجتماعي الذي كان قائما منذ قرون وكان الدين لحمته وصار المستعمرون بعد الاستقلال يعيشون حالة انفصام في الهوية، فهم يبحثون عن توازن بين هويتهم الأصلية وبين مكتسبات العصر الحديث ونجد الانفصام متجليا في اللغة والسلوك والعادات[1].

1- الأستاذ/ الفونصو دولا سيرتا – تاملات من فاس في الأصولية الإسلامية بمجلة أكاديمية المملكة المغربية ص 180 وما بعدها – العدد 16 عام 1999 ط مطبعة المعارف الجديدة الرباط.